

التَفَلُّسُفُ بِاللُّغَاتِ "بَارْبِرَا كَاسَانَ وَالْمَتَعَدَّرُ تَرْجَمَتُهُ"

Philosophizing in Languages "Barbara Cassin and the Untranslatable"

خيرة بن عيسى

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان، kheira.benaissa@univ-tlemcen.dz¹.

تاريخ الإرسال: 2025/02/15؛ تاريخ القبول: 2025/04/15؛ تاريخ النشر: 2025/06/01

المخلص باللغة العربية:

رغم ما تثيره الترجمة من نقاش بين الوفاء للنص وبين التجاوز وخرق الحدود وقتل المعنى، تظل أداة ضرورية لنقل المعرفة وحفظ اللغات، وإن كانت الترجمة تشير إلى إعادة صياغة النص بلغة أخرى متضمنة معنى النقل، فإن هذا الفهم لا يصمد أمام المساهمات الفلسفية الكبرى التي إنهمكت في مناقشة فعل الترجمة متسائلة عن المعنى والحقيقة والنص والخيانة والمؤلف، حتى أفرغته حيناً من كل معنى، وأثقلته حيناً آخر عندما أردفت له أكثر من معنى.

من بين تلك المساهمات التي نريد أن نلقي عليها الضوء؛ مشروع الفيلسوفة "باربرا كاسان" التي تنطلق من ضرورة التفلسف باللغات عبر الترجمة، في تجربة فلسفية من شأنها إعادة تشكيل المعنى، تشتت فتن التعامل مع الاختلافات وعدم الكف عن ترجمة المتعذر ترجمته، يتيح ذلك فهم الذات والآخر ضمن رؤية كونية تنزع القداسة عن لغة اللوغس وتقصي الغلو بيش، فكل فعل ترجمي هو وعي فلسفي بتعدد اللغات وتفرداها.

وفق هذا التصور الفلسفي نتساءل: كيف تناقش "باربرا كاسان" العلاقة بين اللغة والفلسفة، وكيف أن الترجمة هي عبور للثقافات؟ ما هي الدلالة الفلسفية والسياسية للمتعدّر ترجمته؟ ألا يفضي هذا التصور إلى جعل عمل المترجم معقداً ومن ثمّة هو يفقد الترجمة مرونتها؟ وفي الأخير ألا يمكن أن تؤدي هذه الترجمة إلى تشطّي المعنى وتيهان الفكر في رحلة لملاحقة مفردات قد لا تنتهي؟

الكلمات المفتاحية:

التفلسف باللغات؛ اللغة؛ الترجمة؛ المتعدّر ترجمته؛ باربرا كاسان

Abstract: Despite the ongoing debate in translation between being faithful to the text and distorting its meaning, translation remains an essential tool for transmitting knowledge and preserving languages. While translation is often understood as the process of rewriting a text in another language, this view fails in light of major philosophical discussions on the subject. These debates challenged fundamental concepts such as meaning, discourse, truth and culture that either stripped translation of meaning or opened multiple interpretations.

Among these influential contributions, Barbara Cassin stands out for her advocacy of philosophizing in languages through translation. Her philosophical experiment aims to reshape meaning by engaging with differences and embracing the challenge of translating the untranslatable. This approach enables self-understanding and deeper comprehension of the Other within a global vision that desecrate the Logos' sanctity and rejects the Globish's dominance. In Cassin's view, every act of translation is a philosophical awareness of languages' limits.

From this philosophical perspective, one asks: How does Barbara Cassin explore the relationship between language and philosophy, and how does she define the act of translation? What is the philosophical significance of the untranslatable? Does this perspective make the translator's work complex and the translation lose its flexibility?

Keywords: Philosophizing in languages; language; translation; untranslatable; Barbara Cassin

مقدمة:

إنَّ الحديث عن اللِّغة يتجاوز فكرة اعتبارها مجرد أداة للتَّواصل بين الأفراد، لأنَّها في جوهرها وسيلة لبناء المعرفة، بها يتحدَّد الوعي البشريّ وتتجسَّد الحقائق المتخفِّية في اللَّامُتَمَثِّل، ويصبح المتأمِّلُ العقليّ ممكنا متداولًا في الواقع، فهي أداة للظهور والتَّجَلِّي ينشأ من خلالها عالم مشترك بين الجميع ومفتوح على الكلِّ، وما كان للبشريَّة أن تحقِّق

وجودها وحضارتها وتقدّمها من دون اللّغة، فهي في علاقة دائمة مع تطوّر العقل تُلازمه في كلّ لحظة من لحظات عَيْشِهِ للحقيقة.

يتشابه مفهوم اللّغة ولأهمّيّته مع مفاهيم أساسيّة أخرى، وي طرح أسئلة كبرى و يظلّ في خلال ذلك كلّ عنصرًا محوريًا في أيّ محاولة لتشكّل المعنى و بناء الحقيقة، لذلك كان مفهومي المعنى والحقيقة في علاقتهما باللّغة من أكثر المفاهيم إثارة للتساؤل والتناول الفلسفيّ، تثير اللّغة كذلك ضمن سياقات متعدّدة ثقافيّة وفكريّة وعلمية وحتى نفسيّة ارتباطًا وثيقًا بالفكر الذي يطرح بدوره إشكاليّة العلاقة والأهمّيّة، وهل يمكن للفكر أن يوجد في معزل عن اللّغة؟ وأيّ منهما يحدّد الآخر؟ وهل يمكن للغة أن تعبّر عن ما يوجد في الفكر؟ وهي أسئلة لا تنتهي أمام اشتغال الفلاسفة وإصرارهم على الانتصار لأحدهما دون الآخر.

يُطرح مصطلح اللّغة كذلك على نحو مفرد، لكنّ الواقع يفرض تعدّدها وتنوّعها، هي في المفرد من ناحية أنّها أداة تعبير وتواصل ومجموعة تراكيب لغويّة ومفردات، لكنّها في الجمع هي لغات متعدّدة ومختلفة عن بعضها البعض، فكلّ لغة لها حمولتها الثقافيّة والفكريّة، ولها بنيتها المعرفيّة، تعبّر عن وعي جماعيّ معيّن، لها تاريخها وجغرافيتها و مفرداتها وقواعدها الخاصّة كذلك، يمكنها أن تتداخل مع لغات أخرى لكنّ كلّ واحدة منها هي فريدة من نوعها.

ولأنّه لا توجد لغة واحدة مشتركة بين الجميع، كان ولضرورة الاجتماع البشريّ والتطوّر الثقافيّ والعلميّ من أن تتضايّف اللّغات فيما بينها، ليس للتعرّف على مفردات اللّغة وقواعدها وضوابطها اللّغويّة بقدر ما هو حاجة إلى فهم الآخر و الاطلاع على الثراء المعرفيّ والثقافيّ للغات، والذي هو سرّ التميّز والتّفرد، وقد كان ذلك التّضايّف غالبًا عبر التّرجمة التي تحاول نقل النّصّ من لغة إلى أخرى أو بالأحرى هي محاولة لالتقاط المعنى وإعادة صياغته في نصّ جديد بلغة مختلفة، وهو ما يطرح وبشكل مُلِحّ مشكلة الحقيقة داخل النّصّ، فهل يمكن للتّرجمة أن تقدّم بديلاً مطابقاً في المعنى عن النّصّ المُترجم؟ لأنّ المُترجم لن يكون أما حروف وكلمات بل سيكون أمام خطاب له دلالاته ورموزه المُثقلّة بالثقافيّ والتاريخيّ والنّفسيّ كذلك.

أفضت التّرجمة رغم الولادة العسيرة للمعنى إلى نقل العلوم والثّقافات والأفكار وأسهمت في التّبادل المعرفيّ بين الشّعوب، إذ بفضلها نشأت حضارات كبرى و تطوّرت علوم وبرزت أمم، وهي تُعرّف اليوم تطوّرًا غير سابق بفضل تكنولوجيا الذّكاء الاصطناعيّ

عبر ما يسمّى بالترجمة الآلية التي استطاعت كسر الحواجز اللغوية بين الشعوب وسهّلت عملية التواصل.

من المؤكد أننا لا نريد البحث في هذا النوع الأخير من الترجمة؛ أقصد الترجمة الآلية رغم أنها جديرة بالاهتمام و موضوع دسّم للتناول الفلسفي، بل نريد أن نثير مسألة الترجمة من خلال مشروع فلسفي جديد أسست له الفيلسوفة والفيلولوجية الفرنسية "باربرا كاسان" (أنظر التعليق رقم 1)

تطلق "باربرا كاسان" من أهميّة التّفلسف باللّغات عبر التّرجمة، بحيث لا تكون هذه الأخيرة مجرد نقل نصوص من لغة إلى أخرى، بل هي تجربة فلسفيّة عميقة من شأنها إعادة تشكيل المعنى، فكلّ لغة تحمل رؤية حول العالم وتعكس البعد الثقافي والتاريخي والفكري المكوّن لها، وتحتاج إلى بحث عميق لفهم دلالات النصّ وسياقاته، يتمّ ذلك من خلال التّفكير باللّغات وفنّ التّعامل مع المتعدّد ترجمته عبر الاختلافات التي تطرأ على المفردات من لغة إلى أخرى، وهو ما يتيح فهم الذات والآخر ضمن رؤية كونية تعترف بعنصرية كلّ اللّغات، ومن ثمة كلّ فعل تَرْجُمِيّ هو وعي فلسفيّ بحدود اللّغات و تَمَظْهُراتها الثقافيّة.

وفق هذا التّصوّر الفلسفيّ نتساءل: كيف تناقش "باربرا كاسان" العلاقة بين اللّغة والفلسفة، وكيف أنّ التّرجمة هي عبور للثقافات؟ ما هي الدّلالة الفلسفيّة والسّياسيّة للمتعدّد ترجمته؟ وهل تحصر هذه الفيلسوفة مهمّة الفلسفة في التّفكير باللّغات من خلال تتبع المفردات ورصد الاختلافات التي تطرأ عليها من لغة إلى أخرى، أم أنّها بصدد وضع رؤية فلسفيّة؟ ألا يفضي التّركيز على المتعدّد ترجمته إلى جعل عمل المترجم معقّدا وصعبا ومن ثمة هو يفقد التّرجمة مرونتها؟ وفي الأخير ألا يمكن أن تؤدّي هذه الترجمة إلى تشطّي المعنى وتيهان الفكر في رحلة لملاحقة مفردات قد لا تنتهي؟

1- الفلسفة واللّغة: أيّة علاقة؟

إنّ الحديث عن العلاقة بين الفلسفة واللّغة عند "باربرا كاسان" هو بحث بالدرجة الأولى في علاقة الفيلسوفة بهما، تلك العلاقة التي كانت عاملا أساسيا في صياغة مشروع فلسفيّ يُمكن اختصاره في كلمة واحدة هي "التّرجمة"، وهذا ليس غريبا على الفلاسفة فأغلبهم إن لم نقل جميعهم قد صاغوا أفكارهم ونظريّاتهم وفق مرجعيّات كان لها تأثيرها القويّ عليهم.

تحدّث "باربرا كاسان" في كلّ حواراتها وفي أهمّ كتبها عن علاقة الفلسفة باللّغة وتثيرها بشكل أساسيّ من خلال كلامها عن فعل التّرجمة، هذه الأخيرة هي مهمّة

الفيلسوف عندما يشتغل على اللغة أو لِثْقُل عندما "يتفلسف باللغات"، ف"الإبداع عن طريق الترجمة هو جزء من الثقافة الفلسفية" تقول "باربرا كاسان". (كاسان، الفلسفة والترجمة حوار مع باربرا كاسان، 2022، صفحة 8).

لاشكَّ أنَّ الترجمة هي أداة الفلسفة في استكشاف التّصوص بلغة أخرى، يستفيد منها الفيلسوف في فهم الدّلالات و تَقْصِي الأفكار والمفاهيم وفي التّقد والتحليل و وضع النّظريّات، وهذا ما يشهده تاريخ الفلسفة والترجمة معاً، وكل ذلك بفضل الأمّ المعطاءة "اللغة"، ولهذا السّبب اللغة هي أعمّ من الفلسفة وبالتالي من الترجمة، بل إنّ الفلسفة هي إحدى مستويات الكلام إضافة إلى البلاغة وفنّ الخطاب والأداء حسب "باربرا كاسان".

تُحلّل هذه الفيلسوفة أبعاد الكلام بالعودة إلى اليونان، إذ تختص الفلسفة بأحد تلك الأبعاد، فمهمّتها تنحصر في (الكلام عن)؛ أي أنها تقدّم لنا خطاباً فكرياً عن موضوع ما تكون غايته الكشف عن الحقيقة ويكون خالياً من التّناقض، و يعكس تطابق القول مع الواقع، أمّا البعد الثّاني هو ما يختصّ بالبلاغة وفنّ الخطابة، هذا إضافة إلى بعد آخر تقترحه "باربرا كاسان" وتسميه بالبعد الأدائيّ (انظر التعليق رقم 2)، ومن هنا يمكن أن نعتبر أنّ الكلام هو أداة الفلسفة به تُفصح عن الفكر، تقول: "إنّ التّقليد اليونانيّ القديم يميّز بُعدين من الكلام. الأوّل هو (الكلام عن) أي قول شيء ما عن شيء في عبارات تهدف إلى الحقيقة وإلى التّطابق بين ما يقال وما هو كائن. الفلسفة كلّها تكمن هنا" (كاسان، الفلسفة والترجمة حوار مع باربرا كاسان، 2022، صفحة 5).

كُلّ من الترجمة و اللغة (الكلام) هما بمثابة أدوات للتّفكير الفلسفيّ، وفي سياق نظريّة "باربرا كاسان" هما أدوات التّفلسف باللغات، ليست العمليّة كمّيّة لنقدّم أرقاماً على نسبة الاستفادة من أدوات العمل، بل هي علاقة جوهرية تكاملية لا يمكن التّفكير في حدودها لا كمّاً ولا كيفاً.

تقول "كاسان" في موضع آخر تأكيداً منها على ارتباط الفلسفة باللغة "لم أفكر قطّ في الفلسفة على أنّها منفصلة عن الشّعور أو الأدب أو البلاغة أو الفنون والعلوم، ولطالما أحسست بها ومارستها على أنّها فلسفة و [شيء آخر]" (كاسان، الفلسفة والترجمة حوار مع باربرا كاسان، 2022، صفحة 5).

إنّ الفلسفة عند "كاسان" ليست لها حدود أو قطيعة مع التّخصّصات الأخرى، بل هي في حالة من التّلاقح والتّآلف الفكريّ والتّقديّ والتحليليّ الذي لا ينتهي، لذلك هي ترى أنّه لا بدّ من إعادة النّظر في علاقة الفلسفة بالتّخصّصات الأخرى خاصّة الأدب والشّعور، إذ: "من الصّرويّ إعادة تعريف الفلسفة، ماذا يتعلّق بالفلسفة؟ إذا لم تكن على اتّصال

بالنَّصوص التي تسجِّل تاريخ الفلسفة والمفاهيم الواردة والتي يتمّ صقلها وتداولها؟ ولكن أيضا وقبل كل شيء بالكلمات المرتبطة بالحياة اليومية « khaire » / « vale » / binjour/ « salaam » ou « chalom » / ، كيف تفتح العالم؟"

إنَّ العلاقة بين اللُّغة والفلسفة تتحقَّق من خلال التَّرجمة كونها الوسيط حسب "بربرا كاسان" بينهما، فالتفكير باللُّغات يتم بالتَّرجمة، لذلك هي تصفها بقولها: "التَّرجمة هي موضوع فلسفيّ بامتياز" (كاسان، الفلسفة والتَّرجمة حوار مع باربرا كاسان، 2022، صفحة 3)، وهو ما تشير إليه الكلمات التي وصفتها بأنَّها مرتبطة بالحياة اليومية (binjour/ « salaam » ou « chalom » / « khaire » / « vale » ، والتي انتقتهَا من لغات مختلفة، ثم تتساءل كيف أنَّ هذه الكلمات يمكن من خلالها أن نفتح على العالم فكلَّ لغة هي رؤية للعالم.

ففي أوَّل لقاء مع النَّصِّ يصطدم المترجم "المُتفلسف باللُّغات" بالدَّال وبما توحى إليه نصوص الفلسفة والأدب والشَّعر، وهنا تبدأ رحلة المترجم متفلسفا باللُّغات، فهو لا يبحث عن مرادفات للكلمات لينقلها إلى لغة أخرى، بل إنَّه يتعامل مع المستعصي على التَّرجمة، أي الكلمات التي لم تسمح بالتَّنازل عن أصالتها وعراقتها فهي تتضمَّن دلالات قويَّة عريقة بثقافتها وتاريخها.

دور المترجم هنا يكمن في كشف الدَّلالات التي تتضمَّنها الكلمة، لأنَّ المستعصي على التَّرجمة ليس ما لا يُترجم، بل هو ما يجعلنا نُترجمه بشكل مُستمرٍّ، فكلَّ كلمة هي في ارتباط بفكر ما، وفي الانتقال من كلمة إلى أخرى نحن ننتقل من فكر إلى آخر ومن فهم إلى آخر.

التفلسف باللُّغات من شأنه أن يكشف الغموض الذي قد يُحدِثُ خللا في المعنى الدَّلالي، و يَصْغُ المُترجمَ أمام خيارات (مرادفات) محتملة ولكنها لا تستند إلى معيار محدَّد، أو أنَّ المُترجمَ سيجد نفسه أمام عدد من الكلمات التي تشير إلى المعنى نفسه في لغة واحدة والتي تسمَّى بالمتجانسات، فتكون مهمَّة الفيلسوف المشتغل على التَّرجمة في هذه اللَّحظة مقارنة المفردات ونزع الالتباس والغموض الذي يكتنفها، "فاللُّغة ليست شيئا آخر سوى مجموعة من الالتباسات التي خلَّدها التَّاريخ" (كاسان، التَّرجمة بوصفها ثقافة حوار مع باربرا كاسان، 2017، صفحة 12).

2- التَّرجمة في أنَّها عبور للثقافات وسفر بين اللُّغات:

رغم ما يشر إليه مصطلح التَّرجمة من صعوبة وما يثيره من نقاش بين الوفاء للنَّصِّ وبين التَّجاوز وخرق الحدود وقتل المعنى، تبقى التَّرجمة ضرورة بشرية لا تقلَّ أهميَّة عن

اللغة، تفرضها الحتمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية كذلك، و يمكننا القول أنها من عناصر التفاعل البشري وتطوره، وإذا كان مصطلح الترجمة في الفهم العام يشير إلى إعادة صياغة النص بلغة أخرى متضمنة معنى النقل، فإن هذا الفهم لا يصمد ولا يستقيم أمام النظريات الفلسفية الكبرى حول الترجمة التي إنهمكت في مناقشة المفهوم وتساءلت حول المعنى والحقيقة والأصل والخيانة والمؤلف.... فأفرغته حيناً من كل معنى، وأثقلته حيناً آخر عندما أردفت له أكثر من معنى.

لاشك أن هذا الارتباك والاختلاف الذي حصل بين الفلاسفة حول مدلول الترجمة يعكس أهميتها في تطور الفكر وحفظ اللغة واستمرارها، ولا يمكن في هذا المجال الضيق أن نشير إلى الفلاسفة الذين أبدعوا وبرعوا في صياغة نظريات مهمة حول الترجمة، بل سنكتفي هنا بالتصور الفلسفي الذي وضعته الفيلسوفة الفرنسية "باربرا كاسان" للترجمة والذي غمرته بمفاهيم عميقة من رحم اللغة بداية من التعدد إلى المفردات إلى الاختلاف إلى التجانس وصولاً إلى المتعدد ترجمته في تعارض مع اللوغوس والغلوبيش.

وفي سياق ذلك كله نعتبر "باربرا كاسان" أن الترجمة هي عمل مُضني يتطلب مهارة ودراسة كذلك، لأن المترجم سيكون في مواجهة صعبة للمختلف بين اللغات، بل سيجد نفسه أمام ثقافات عليه أن يؤلف بينها وأن يبحث عن الانسجام والتناسق داخل المختلف ذاته، وأن يترصد كل اللحظات التي مرت بها المفردات والتي صبغتها بمعاني ودلالات جعلتها مختلفة من لغة إلى أخرى، وكأن المترجم سيحكي لنا بلسانه سيرة الكلمة و التحويلات التي طرأت عليها، وهذا يستوجب فن التعامل مع الاختلافات في اللغة.

وهي تكشف في خلال كلامها عن الترجمة عن دلالة الفعل "ترجم" الذي عبّر عن فعل "ترجم" traduire الفرنسي والمتأني من اللفظ اللاتيني traducere وليس من اليونانية القديمة التي لم تحتو على رديف لهذا الفعل، فهذه الأخيرة تلجأ إلى كلمة أخرى هي hermeneuein والتي تفيد معنى "التفسير" و"التأويل". وفي اللغة العربية يحيل لفظ "ترجمة" على معنى التفسير أيضاً. في حين يُشار إلى الترجمة، في النصوص الصينية القديمة، على أنها حركة قلب قطعة من الحرير المطرز بحيث يكون وجهها غير مماثل لقفاها رغم أنها تظل ذات القطعة في كلا الوجهين. وهي استعارة لا تخلو من الروعة " (كاسان، يجب مقاومة عولمة اللغات، 2022).

يكشف تتبع تحول الفعل "ترجم" داخل لغات مختلفة رحلة الكلمات ودلالاتها التي تعرفها من ثقافة إلى أخرى، لذلك ترى "كاسان" أن كل لغة لها عبقريتها ولها ثقافتها، ومن غير الممكن أن نغلق على لغة واحدة وأن نكتفي بهراداتها فقط، بل إن تقصي

المترادفات داخل اللغات عبر الترجمة يكشف عن اختلافات قد تكون غير قابلة في بعض الأحيان للانسجام، وهكذا تكون الترجمة تجربة فكرية نتعرف من خلالها على كفاءات مختلفة لفهم العالم.

إن الترجمة على هذا النحو ليست وضع مقابل للنص أو تحويله من لغة إلى أخرى، فهي لا تبحث عن مرادفات وتقوم بترتيبها كعمل تقني، بل إن مهمتها أعقد من ذلك بكثير لأنها تتعامل مع الاختلافات بين اللغات، ولا تكتفي بالترجمة من لغة إلى أخرى بل إنها تسافر بينها، فكل لغة لها ثقافتها ولها رؤيتها الخاصة ولها بذلك مفرداتها، والترجمة تبحث فيما لا يتشابه بينها وتقارنه من أجل فهم أكثر وضوحاً، "أن نترجم يعني أن نعبّر وأن ننقل أو نسافر من لغة إلى أخرى". (كاسان، يجب مقاومة عولمة اللغات، 2022).

تستدعي الترجمة فعل القراءة الذي ينكب على النص في لسانه، فهي تقول "تعني الترجمة قبل كل شيء القراءة. إنها عملية قراءة النصوص في لسانها" (كاسان، الترجمة بوصفها ثقافة حوار مع باربرا كاسان، 2017، صفحة 8)، فالنص ليس سلعة جاهزة يمكن مقايضته بسلعة أخرى أو استبداله، لا يمكن فهم الترجمة بهذه البساطة، لأنها ليست تبديل كلمات بأخرى، فكل نص هو مكتوب بلغة ما وكل لغة هي ثقافة، وكل ثقافة تعني أن "النص هو دائماً نص لنصوص أخرى" (كاسان، الترجمة بوصفها ثقافة حوار مع باربرا كاسان، 2017، صفحة 7)

إن النصوص حسب "كاسان" تتفاعل فيما بينها ويؤثر بعضها في الآخر، بل قد تعيد بعض النصوص مضمون نصوص أخرى أو تضيف عليها فهي في ارتباط دائم، ولهذا لن تكون القراءة عملاً سهلاً، فهي تعبّر الحروف والكلمات إلى ما وراءها لتعيش التجربة التي أنتجت النص نحو البحث عن المعنى من خلال لسانها الخاص، فالقراءة هي فعل مُحايث للنص الأصلي من حيث المعنى.

تركز الترجمة عند "باربرا كاسان" على الكلمات التي يتعذر ترجمتها بين اللغات والتي بقيت لفرط دلالاتها وحمولتها المعرفية والثقافية على حالها، في محاولة لتجاوز الصعوبات التي تعيق الوصول إلى المترادفات، وإعادة تشكيل المعنى داخل سياق لغوي جديد يفضي إلى إعادة فهم النصوص الأصلية، وهذه المترادفات هي ما اصطلحت عليه بالمتعذر ترجمته

3- المتعذر ترجمته Les intraduisibles :

ربما يتضمن المصطلح الذي نسميه في اللغة العربية "الدخيل" بعض المعاني التي أسندتها "باربرا كاسان" للمتعدّر ترجمته، فكثيراً ما تعرضنا مترادفات تسمى في قواميس

ومعاجم اللغة العربية "دخيلة" وهي في الحقيقة دخيلة على كل اللغات إلا لغتها الأم التي أنتجتها، هي بمثابة مفردات لم يجد لها اللغويون مكافئاً أو مقابلاً فتم استعارتها كما هي وأصبحت منذ ذلك الحين كلمة متداولة في غير لغتها الأصلية وكأنها أصلية، فالدخيل هو: "الكلمة التي أدخلت في كلام العرب وليست منه" (ابن منظور، 2003، صفحة 231)، والمفردات في هذا السياق هي كثيرة ولعلنا نجد في اللغة اليونانية ما يغذي فضولنا من المفردات التي نتداولها كثيراً في الخطابات السياسية والثقافية والفكرية عموماً، وعلى سبيل المثال لا الحصر مفردة فلسفة المشتقة من اليونانية "فيلو سوفس".

يشير "بول ريكور Paul Ricœur (1913/2005)" في كتابه "عن الترجمة" فكرة ترجمة "ما لا يترجم" الذي يشكل تناقضاً جذرياً في فعل الترجمة، من حيث أنه بمثابة عامل أساسي ودافع للترجمة وفي الآن نفسه هو غير قابل للتقل من لغة إلى أخرى، وتكمن صعوبة ذلك في تعدد اللغات وتنوعها التي تختلف كل واحدة منها عن الأخرى من حيث تراكيبها ودلالاتها ومكوناتها الثقافية والتاريخية، فكل واحدة تحمل رؤية للعالم، ومن ثمة لا تتم الترجمة على الكلمات فقط بل هي أوسع من ذلك فهي عمل مُضني يحاول عبور تلك الرؤى المختلفة، يقول: "هناك شيء غير قابل للترجمة منذ الانطلاق، وهو تعددية اللغات والذي ينبغي تسميته من البداية كما يرى هومبولت Humboldt التنوع، والاختلاف بين اللغات الذي يقدم فكرة تنافر جذريّ فيؤدي مسبقاً إلى جعل الترجمة مستحيلة" (ريكور، 2008) (ريكور، 2008، صفحة 59)، لكن ما لا يترجم وإن كان يُنبئ بالاستحالة فهو في المقابل يمكنه أن يحول عمل المترجم إلى فعل إبداع وخلق عن طريق التأويل وإعادة تشكيل المعنى.

في مقابل هذه الإشارات المقتضبة تضعنا "بربرا كاسين" أمام ما تسميه (بالمعتذر ترجمته)، وهو المرادفات التي نُقلت كما هي من لغتها الأصلية إلى لغات أخرى، لا يوجد لها مرادف يكافئها أو يقابلها أو حتى قريب منها، لكن "بربرا كاسان" لم تكتفي بهذا الوصف فقط الذي ينطبق على "الدخيل" في لغتنا العربية، بل أسهبت في شرحه وبيان خصائصه وصياغة نظرية في الترجمة على أساسه.

إن المرادف الذي تصعب ترجمته له من المرجعية التاريخية والخصوصية الثقافية والحمولة الفلسفية التي أضفت عليه طابع الأصالة والعراقة والانتفاء والتي منعت من ترجمته إلى لغة أخرى فبقي على هيئته التي أنتج بها حاملاً لدلالاته ورمزيته القوية.

هذا ويعتبر المعتذر عن الترجمة بالنسبة "لباربرا كاسان" بمثابة المهمة الأساسية للترجمة في بحثها عن المعاني التي توحى إليها الكلمات في لغات أخرى، فهي؛ أي الترجمة

تدلل الصَّعوبات التي تعيق فهمنا للنص، و ذلك عن طريق البحث في الفروق والاختلافات.

ميزة أخرى للمتَعَدَّر ترجمته هو أنه نقطة انطلاق للتفكير الفلسفي، لأنه محاط بالغموض ويثير الالتباس ومستعصي على التعبير والتمثيل، قد لا تستطيع اللغة المُستَضِيْفَةُ الإحاطة به، أو لا تجد في مرادفات ما يقابله، وهنا تكمن أهمية المتَعَدَّر ترجمته في أنه يثير التساؤل ويدعو للتأمل، تأمل في ما تخفيه الكلمات، وبحث في المعاني التي يمكن أن يتقبلها المتَعَدَّر ترجمته أو التي أسندت إليه من لغة إلى أخرى، و في هذا تُنْقَلُ بين المعاني يُفْضِي إلى التفكير في المتجانس، فالمتَعَدَّر ترجمته هو تفكير فيما يتَعَدَّر التعبير عنه باللغة.

المتَعَدَّر على الترجمة أو المستعصي على الترجمة أو ما لا يمكن ترجمته؛ هي ربّما كلّها مرادفات تقيد المعنى الذي أرادته "باربرا كاسان" بكلمة "Les intraduisibles"، وهي تُعَرِّفُها بقولها: "الكلمات التي لا يمكن وضعها في لغة أخرى وهي متميزة في كلّ لغة وتشير إلى اختلافها، باختصار هي علامات اختلاف اللغات" (Cassin, 2019, p. 12)

قد نفهم لوهلة أنّها تقصد المفردات التي لا يمكن ترجمتها، لكنّها في الأصل هي المفردات التي يجب فعلاً أن يركّز عليها المترجم وأن لا يكتفي بترجمة واحدة بل عليه تتبّع الدلالات التي تشير إليها في اللغات الأخرى، تقول: "ما هو غير قابل للترجمة ليس هو ما لا نُقَدِّم على ترجمته - إذ يمكننا ترجمة كلّ شيء - بل هو ما لا نُكفُّ (أو نُكفُّ) عن ترجمته" (كاسان، يجب مقاومة عولمة اللغات، 2022)

المتَعَدَّر ترجمته خصّصت له "كاسان" حيّزا كبيرا من البحث، فهو بمثابة مشروع فلسفي ضخم عملت عليه مع فريق من الباحثين لسنوات طويلة كانت عصارة ذلك معجم عالمي، سمّي "بالمعجم الأوروبي للفلسفات - قاموس المتَعَدَّر ترجمته-" (أنظر التعليق رقم 3)، وهي تعتبره عملا فلسفيا فريدا ببعديه الفلسفي والسياسي كذلك.

إنّ الترجمة في هذا المعجم كانت تشغل على الكلمات وليس على المفاهيم، فاللغة تكون عالمية بمفرداتها، و كانت تلك الكلمات عميقة و صعبة و مُتَجَدِّرة في التراث الفلسفي والثقافي، تقول في وصفها هي: "الكلمات الأكثر تجريدا والأكثر فلسفية ك"الحرية" على سبيل المثال التي تُعدّ كلمة فلسفية بحثة" (Cassin, 2019, p. 12).

تقدّم "باربرا كاسان" في كتبها وحواراتها أمثلة كثيرة على الكلمات الصعبة المتَعَدِّرة على الترجمة والتي تمّ العمل على ترجمتها في المعجم، وتبيّن طريقة التعامل معها، وكمثال على ذلك تقول "لنأخذ على سبيل المثال الكلمة التي نعتبرها صعبة (logos). فهي

كلمة متعذرة الترجمة، لأن لها سعة كبيرة، لكن نقطة الربط سهلة البيان وهي العلاقة التناسبية أ/ب = ج/د هذا هو اللوغوس أي عناصر متقاة يتم التقريب بينها، الربط بينها بمعنى «علاقة» انطلاقاً من هذه الدلالة، نفهم كيف أن الكلمة تدل على أنماط مختلفة من العمليات الرياضية، والعقلانية، والخطابية، واللغوية؛ وكيف تدل على وحدات الكلمات والجمل، التركيب نفسه، الخطاب، القول، الألسنة،... إلخ؛ والربط المفهومي، كل ما له علاقة بالفكر" (كاسان، الترجمة بوصفها ثقافة حوار مع باربرا كاسان، 2017، صفحة 9)

لا يمكن إيجاد مرادف مكافئ لتلك الكلمات حسب "كاسان" لقوة الدلالة التي تتمتع بها، بل إن المحاولة هي اكتشاف المعاني القريبة منها، وسبيلنا في ذلك هو البحث فيما تومئ إليه الكلمة خارج لسانها في محاولة لفك شفراتها، ومن ثم نشتغل على المقارنة بين المقابلات التي استطعنا أن نجمعها، نثري بها لغتنا أولاً، ونعيد إنتاجها ثانياً مستفيدين في ذلك من ثراء لغتنا وما يمكن أن تقدمه لنا، فالعمل يتم "بشكل أساسي على المصطلحات المتبسة التي لا يمكن أن نجد لها مرادفاً واحداً فقط خلال عملية الترجمة، في الواقع هي تظهر دائماً على أنها مصطلحات متعددة الدلالة في نظر اللغات التي ليست لها مكافئ فريد لترجمتها، فعلى سبيل المثال الكلمة الروسية برافدا «pravda» تقابل في الفرنسية كلاً من الحقيقة «vérité» والعدالة «justice»، وعلى العكس من ذلك المصطلح الفرنسي الحقيقة «vérité» هو متعدد المعاني بالنسبة للغة الروسية فهي تميز بين الحقيقة والوجود، والدقة «istina» عن الحقيقة القضائية «pravda»، وهكذا فإن اللغات المختلفة تنقل شبكات من المعاني وتسمح لكل منها بخلق عوالم خاصة" (Gnezda, 2014, p. 3)

وفق هذا لم يكن هدف "بربارا كاسان" عندما اهتمت بالمتعذر ترجمته إيجاد مرادفات، فهو في الأصل بقي على حاله لمحدودية اللغات وعدم قدرتها على مقاومة قوة الدلالة القائمة فيه فتركته كما هو، بل إن الغاية هي وضع كيفية للتفكير في اللغات في حد ذاتها ومحاولة لفهم المعقد والمستعصي، وذلك بتحطيم كل الصعوبات التي تعيق عملية الترجمة والاشتغال على النصوص فترجمة المتعذر ترجمته هي حالة من الإبداع وإعادة الإنتاج، تقول: "إعادة اختراع في كل مرة تحصل فيها، فهي تقدم منظوراً آخر و مداخل جديدة، وتتخلّى عن مداخل أخرى وتكيف أمثلة نصية ولغوية ونحوية جديدة" (كاسان، الفلسفة والترجمة حوار مع باربرا كاسان، 2022، صفحة 7).

4- اللغة كرهان سياسي "لغة أوروبا هي الترجمة":

تستعير "باربرا كاسان" من "أومبرتو إيكو" (أنظر التعليق رقم 4) عبارته المشهورة "لغة أوربًا هي الترجمة (Cassin, " La langue de l'Europe, c'est la traduction, Éloge de la traduction — Compliquer l'universel, 2016, p. 25) ، تومئ هذه العبارة إلى أن الهوية الثقافية والفكرية لأوربًا تتشكل من خلال التفاعل بين اللغات المختلفة عبر الترجمة ، وكأنّ هذه الأخيرة هي التي تحمي لغات أوربًا وتحافظ عليها، فهل هذا فعلاً ما كانت تؤسس له "باربرا كاسان" ؟

لم تتوقّف هذه الفيلسوفة عن التنبيه والتحذير من الأخطار التي تواجه اللغات الأوربية، معلنة عن البعد السياسي للغة، "اللغة سياسية، وهذا القاموس سياسي بقدر ما هو فلسفي" (كاسان، الفلسفة والترجمة حوار مع باربرا كاسان، 2022، صفحة 7)، وهو ما يكشف عن خلفية سياسية خالصة إضافة إلى البعد الفلسفي بكل تأكيد، خلفية كانت تناضل من أجلها "باربرا كاسان" وكانت الترجمة هي الطريقة الأساسية لحماية لغات أوربًا الثقافية والراقية من خطرين، فهي تتساءل في كتابها "مديح الترجمة" وتجيب في الوقت نفسه تقول: "ما هي أوربًا اللغوية- فلسفية التي نريدها، الردّ: هناك اثنتان لا نريدهما ولا زلنا لا نريدهما، واللّتان أقترح وصفهما بـ: لا الكلّ بالإنجليزية ولا القومية الأنطولوجية" (Cassin, Éloge de la traduction — Compliquer l'universel, 2016, p. 25).

أما الخطر الأول فهو ذلك الذي يُفرغ اللغة من كلّ معنى ويحوّلها إلى مجرد لهجة ووسيلة تواصل، متمثلاً في الإنجليزية المَعُولَمَة أو "الغلوبيش" Globish (أنظر التعليق رقم 5)، أما الثاني فيؤسس لأفضلية لغة على أخرى لدرجة التقديس، بل يجعل بعضها أكثر فلسفية وتجريدا من غيرها تحمل عراققتها وقوتها في ذاتها، وهو ما سمّته بالقومية الأنطولوجية nationalisme ontologique،

1.4- الغلوبيش Globish :

تُعرف "كاسان" الغلوبيش في أكثر من موضع من كتبها وهي تعتبرها لغة بل لهجة سطحية، بإمكانها أن تقضي على لغة الثقافة والفكر والأدب لانتشار تداولها في العالم، بل أصبحت أسهل وسيلة للتواصل وإجراء الصفقات التجارية، فهذه الأخيرة لا تحتاج إلى لغة شكسبير "الرّائعة" كما تصفها "بربرا كاسان"، والتي سينتهي بها المطاف إلى الزوال أو تبقى حصرًا على الطبقة المثقفة والجامعات فقط، تقول الغلوبيش هي "لغة التواصل وتقديم الخدمات التي تخاطر بتقليص لغات الثقافة إلى مستوى اللّهجات "العامة" بالمعنى اليوناني للمصطلح الفاقدة للقدرة السياسية" (Cassin, Philosophie en langues-les intraduisibles en traduction, 2014, p. 13).

يتضمّن هذا القول نوعاً من المقابلة البارعة والمقصودة بين التّصوّر الذي انتشر في يونان القرن الخامس قبل الميلاد في مرحلة بروز السّفسطائيّة وتبلور الديمقراطيّة وبين الغلوبيش، فمن لم يكن خطيباً بارعاً ولا يملك القدرة على الجدل والإقناع وتقديم الحجّة وله مهارة بلاغيّة لا يمكن أن يشارك في الشّأن السّياسيّ للدولة، لأنّ اللّغة العاميّة والعاديّة هي لغة عاجزة عن ممارسة السّلطة وليست سياسيّة، ومنه فالغلوبش كلهجة العامّة من النّاس غير المتخصّصين هي غير مفيدة في السّياسة بل هي خطر على الدّولة وعلّ كيانها الثّقافيّ، لذلك لا بدّ من مواجهتها.

تقول "كاسان" في موضع آخر "الغلوبش" هي لغة للتّواصل ولطلب القهوة من تمنراست إلى بيكين، أو تقديم العروض في بروكسل من خلال اقتراح دراسة الحالات، عرض أحدث التّطوّرات، تقديم المنتجات..." (Cassin, Éloge de la traduction – Compliquer l'universel, 2016, p. 25) يشير هذا القول إلى بعض المعاني الواردة في القول السابق لـ"بربرا كاسان"، لكنّه بالمقابل يتضمّن تلميحات وتنبّهات، فهي تحاول أن تقول أن "الغلوبش" أصبحت منتشرة في كلّ العالم وأصبحت الطّريقة المثلى للتّواصل ولا يجد النّاس صعوبة في تعلّمها والتّعامل بها، لذلك انتبهي يا أوربا أن تضع لغتك الجميلة لغة الثّقافة والشّعور والأدب والفلسفة في لحظة من الاندفاعيّة والعفويّة والسّداجة التي يقودها العامّة من النّاس.

2.4- القومية الأنطولوجية nationalisme ontologique :

تدافع "باربرا كاسان" من خلال معارضتها لما تسمّيه بـ"القوميّة الأنطولوجية" عن فكرة التّعّدّد رافضة كلّ قول يؤسّس للغة واحدة هي أصل كل اللّغات، إذ لا توجد لغة أكثر عراقية و تجريداً من غيرها، بل يجب الإيمان بأنّ كل واحدة منها أصيلة و غنيّة بمرادفاتهما، ولا تتمّ إلّا في علاقتها مع اللّغات الأخرى، وهي توجّه معارضتها إلى التّأصيل الفلسفيّ الذي وضعه الفيلسوف الألمانيّ "مارتن هايدغر" الذي اعتبر أنّ اللّغة اليونانيّة والألمانيّة هما أرقى اللّغات لارتباطهما بالعرق، وقد أصبح ذلك تقليداً "على النمط الهادغري، اليونانيّة والألمانيّة هما أكثر يونانيّة من اليونانيّة ذاتها (le grec et l'allemand plus grec que le grec) (Cassin, Philosophie en longues – les intraduisibles en traduction, 2014, p. 13) لدرجة أن اليونانيّة أصبحت رمزا للتفكير والتّمييز والعالميّة، "فمن لا يتكلم اليونانيّة بشكل صحيح، هو لا يقول شيئاً على الإطلاق، لا يفكر ويصدر فقط مجموعة من الأصوات، إنه بربري غير قادر على الارتقاء إلى عالميّة المفاهيم" (Gnezda, 2014, p. 1).

كَلَّ اللُّغَاتِ حَسَبَ "كاسان" لَهَا عِبْقَرِيَّتُهَا وَلَا يُمْكِنُ تَفْضِيلُ أَيِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَى الْأُخْرَى، فَهِيَ كُلُّهَا عَرِيقَةٌ، مَثِيرَةٌ فِي أَدَائِهَا اللَّغَوِيَّ وَفِي انْتِظَامِهَا وَتَكَامُلِ تَرَكَيبِهَا، يُمْكِنُ أَنْ تَتَفَلَّسَ وَتَسْمَحَ بِالتَّفَلَّسِ فِيهَا، فَإِذَا تَفَحَّصْنَا اللُّغَاتِ وَجَدْنَاهَا كُلُّهَا تَحْتَوِي عَلَى مُرَادِفَاتٍ تَسْمَعُ بِالتَّنَوُّعِ وَالتَّعَدُّدِ وَتَحْمِلُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِنْ مَعْنَى، فَهِيَ تَقُولُ: "المثير هو أن نفهم بشكل أفضل ما الذي يجعل كل لغة فريدة؟ فإذا وضعت جانباً الكثير من الأشياء المهمة، والتي تشير إلى بناء الجملة وإلى القواعد (تركيب الكلمات، جنس الكلمات، أزمنة الأفعال... إلخ)؛ إن ما يشكل تفرّد كل لغة هو على وجه الخصوص الكلمات التي لها معاني كثيرة، هي كلمات فضيعة، والتي نسميها بالمتجانسة Homonymes، الكلمة نفسها تعني أشياء كثيرة" (Cassin, Plus d'une langue, 2019, p. 14)

تتساءل "بربرا كاسان" عن أوربّا التي تطمح إليها، وهي أوربّا المحتفية بثقافتها ولغاتها وفلسفاتها، ثمّ تكشف عن الصّعوبات والأخطار "الغلوبش والقومية الأنطولوجية"، وتجتهد في تقديم الحلول بطريقة منهجية دقيقة تنمّ عن ذكاء الفيلسوفة وحرصها على عراقة أوربّا بلغاتها وثقافتها، وعن هاجس كان ينازعها في مسارها الفكريّ، ومن دون شكّ عن ولعها بالغة.

الحلول نكتشفها وبدو عناء في قولها: "صُمِّمَ معجم الكلمات غير القابلة للترجمة كآلة حربية موجّهة ضدّ خطرين محدّقين بأوروبّا" (كاسان، يجب مقاومة عولمة اللغات، 2022)، كانت هذه من أقوى العبارات التي صرّحت بها "باربرا كاسان" في رسالة اليونسكو للتعريف بمعجمها، ولا شكّ أنّها تحمل من المعاني ما يثير الارتباك و القلق والتساؤل كذلك.

لكنّها كانت واضحة في تحليلاتها الفلسفية، فبيّنت أنّ مهمة المعجم وبالتالي الترجمة هي الحفاظ على لغات أوربّا ومواجهة التّحدّيات المتسارعة التي تهدّدها، وبالعودة إلى اللحظة اليونانية تؤسّس "باربرا كاسان" ولا شكّ في ذلك فهي فيلسوفة هيلينية كما تتحدّث عن نفسها، تؤسّس لرؤيتها في ضرورة الاعتراف بالتعدد والتخلّص من وهم اللّغة الواحدة الذي عاشه اليونانيون فاعتبروا أنّ لغتهم هي لغة العقل وغيرهم يقولون ثرثرة فقط فهم "برابرة"، يجب أن نكسر تقول "باربرا كاسان" هذا الحاجز الذي "دعّمه" هايدغر عندما جعل اللّغة الألمانية الوريث الشرعيّ والوحيد للغة اليونانية، تقول: "الوهم الذي كان هؤلاء اليونانيون يحافظون عليه، فقد كانوا يتصوّرون أنّه لا توجد وبشكل مطلق إلّا لغة واحدة يطلقون عليها كلمة لوغوس، أمّا الآخرون الذين لا يتكلّمون مثلهم هم برابرة يقولون بلا بلا بلا، وهي أشياء لا يمكن أن نفهمها ... هو ضجيج غير واضح بالنسبة

اليونانيين، لا يفهمونه ولا يحاولون فهمه، وعلى عكس ذلك تعني لوغوس اللغة عند اليونانيين وكذلك العقل، وقد كان أرسطو هو الفيلسوف اليوناني الأول الذي عرف الإنسان بأنه حيوان يملك اللوغوس، فهو حيوان يتكلم ويفكر، لذلك يعتقد اليونانيون أن اللغة التي يتكلمونها ممتزجة مع العقل، فاللغوية هي لغة العقل " (Cassin, Plus d'une langue, 2019, p. 7)

ولأننا برابرة نقول "باربرا كاسان" في نظرهم فمن، حقنا الاعتراض والتشكيك في هذا الاعتقاد، فإذا كانت توجد لغة واحدة فما مصير اللغات الأخرى؟، تجيب لا بد من التفكير في تعدد اللغات وأن لا نعتبر لغتنا الأم على أنها اللغة الوحيدة مهما كانت خاصة بالنسبة لنا، فكل لغة لا توجد إلا في وجود لغات أخرى.

"الآلة الحربية" صُممت كذلك ضد الغلوبيش، اللغة الإنجليزية المبسطة والمُعَدلة والتي لا تهتم بقواعد اللغة ولا بتراكيبها، وغايتها تحقيق التواصل فقط، قد أصبحت نتجه نحو الأحادية وتلعب دور الوسيط في الترجمة تمرّ النصوص عليها قبل الوصول إلى اللغة المختارة، وهذا قد يؤدي هذا إلى تفوقها وعالميتها وتصبح مرجعية أساسية في كل عمل ترجمي، وهذا بدوره سيؤدي إلى اندثار اللغات الأخرى بما فيها الإنجليزية الثقافية وعودة الوهم اليوناني من خلال "الغلوبش" فيعتقد الضوّاء أنهم أصحاب اللغة والفكر وما دونهم هم برابرة،

الخاتمة:

لا شك أن "باربرا كاسان" كانت تحاول الخروج بالفكر من صيغة أحادية اللغة والإفراج عن المعنى نحو التعدد والتنوع، فلا يمكن الكلام عن الحدود والنهائيات في اللغة بل كل مفردة لها دلالاتها التي يجب أن نكشف عنها داخل اللغات الأخرى، وكل لغة هي رؤية خاصة للعالم هي فكر يتحقق عبر الانفتاح على الاختلافات، وهذه رؤية فلسفية نحو تحرر الفكر وتشكل المعنى وولادة رؤى جديدة.

إن الترجمة مع "بربارا كاسان" لا تبحث مطلقاً عن النص المترجم، أو بالأحرى لا تهتم بتقديم نص جديد مطابق للنص الأصلي، بل هي تحاول على الأصلي، وتبث حياة جديدة للنص تنطلق من الأصول، لكنّها تغترّب بالأصل عندما تسافر بالمفردات بين اللغات، فاللغة التي تستضيف النص عبر الترجمة هي ليست نصاً رديفاً للأصل، بل هي رؤية تفتح بالنص نحو رؤى جديدة، وعندها يتحوّل المترجم ترجمته إلى ما لا يمكن التوقّف عن ترجمته.

إنَّ التَّرْجَمَةَ هي إضافة إلى ذلك أداة لفهم اللِّغَةِ الأُمِّ أو بالأحرى لغة المترجم ذاته، فهو في فعل التَّرْجَمَةِ يكتشف لغته بالأساس اعتباراً من أنَّ النَّصَّوص كُلُّهَا تتعلَّق ببعضها مضافاً بطبيعتها، فالنَّصُّ المترجم هو ميلاد معنى جديد من رحم المختلف وليست مجرد تفاعل مع لغة أخرى نريد ترجمتها، بل كلُّ لغة تفهم ذاتها أولاً في خلال التَّرْجَمَةِ، أنَّها لحظة اختفاء بالمختلف والمتعدّد، فالترجمة هي أداة للفهم.

إن هذا المشروع الفلسفي فيه من العمق والدقة والكثافة ما يدفع إلى التفكير فيه بجدية والعمل على دراسته والقيام ببحوث جادة ومتخصصة للاستفادة منه، خاصة وأن المعجم تناول ترجمات إلى اللغة العربية، يكشف هذا المشروع كذلك عن كيفية تفكير العقل الأوروبي في لغته وثقافته وكيف أن العمل الفلسفي يحمل أبعاداً سياسية لحماية أوروبا،

وكيف أن "باربرا كاسان" تعارض وبكل ثقة وجرأة فلسفية الفيلسوف الألماني "مارتن هايدغر" بكل ما يحمل هذا الاسم من معنى، هاجس فكري كان يراودها خلال مسارها الفلسفي، وهو ما سنختم به هذا المقال عله يكون بادرة لبحث علمي رصين، تقول: "لكن السؤال الفلسفي الأول الذي طرحته على نفسي يتعلق بهيدغر، الفيلسوف اليوناني العظيم، والنازي مع ذلك. وكان هذا السؤال: (هل يمكن للمرء أن يكون من مؤيدي فلسفة ما قبل سقراط) وبطريقة أخرى؟ هل يمكننا [أن نجيب إجابة مختلفة عن هايدغر] وأن لا نجعل من بارمنيدس، ومن اليونان ومن اللغة اليونانية فجراً مطلقاً، يُحَيِّ كل شيء إلى البربرية، كل شيء باستثناء اللِّغَةِ الألمانية التي هي يونانية أكثر من اليونانية..." (كاسان، الفلسفة والترجمة حوار مع باربرا كاسان، 2022، الصفحات 2-3)

الهوامش والمراجع:

1 باربرا كاسان (Barbara Cassin) فيلسوفة وفيلولوجية فرنسية ولدت عام 1947، اهتمت بالترجمة ناقشت أطروحة الدكتوراه في الفلسفة اليونانية، تخصصت في البلاغة والسفسطائية. شغلت منصب مديرة أبحاث في المركز الوطني للبحث العلمي، انتخبت لتصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية عام 2019. أهم مؤلفاتها «مديح الترجمة، تعقيد الكلّي» (2016)، و«الحنين.. متى يكون المرء في منزله» (2014)، و«أرخيل أفكار باربرا كاسان» (2014)، و«أرسطو واللّوغوس، حكايات في الفينومينولوجيا العادية» (1997) إلخ. كما أشرفت على إنجاز «المعجم الأوروبي للفلسفات: قاموس المتعدّر ترجمته»

2 هذا مجمل القول في شرح باربرا كاسان لأبعاد الكلام: "إنَّ التَّقْلِيدَ اليوناني القديم يميّز بعدين من الكلام. الأول هو (الكلام عن) أي قول شيء ما عن شيء في عبارات تهدف

إلى الحقيقة وإلى التّطابق بين ما يقال وما هو كائن. الفلسفة كلّها تكمن هنا، والبعد الثاني هو (الكلام إلى) وهو لا يهدف إلى كشف الحقيقة، بل إلى الإثبات والإقناع. البلاغة والخطابة يكمنان كلاهما هنا، ومع ذلك هناك بعد ثالث يختلف عن هذين البعدين، والذي أسميه متبعة "جون أوستن" البعد الأدائي فهو لا يهدف لا إلى الحقيقة ولا إلى الإقناع بل يهدف إلى شيء ما مثل التأثير والفعالية والكفاءة.. (أنظر باربرا كاسان، الفلسفة والتّرجمة حوار مع باربرا كاسان، 2022، صفحة 5).

3 المعجم الأوروبيّ للفلسفات: قاموس المتعدّد ترجمته Vocabulaire européen des philosophies. Dictionnaire des intraduisibles، صدر عام 2014، شارك فيه أكثر من مئة وخمسون باحثاً، استغرق حوالي عشر سنوات من البحث تضمن أربع مئة مدخل وأربعة آلاف كلمة في خمسة عشر لغة أوروبية.

4 أمبيرتو إيكو Umberto Eco 1932/2016 فيلسوف إيطالي، وروائي وباحث في القرون الوسطى قال عبارته المشهورة "لغة أوروبا هي الترجمة (La langue de l'Europe, c'est la traductio) وهي العبارة التي نطق بها في مؤتمر واستشهد بها وزراء نصحاء وذلك لتذكير المؤسسة الأوروبية بقواعدها الخاصة، وهي أربع وعشرون لغة رسمية في عام 2013 وثلاث لغات عمل في مجموعة متنوعة من اللغات أنظر Barbara Cassin, Éloge p 25 de la traduction

5 (Globish) كلمة مركبة من English و Global تعني الإنجليزية العالمية، هذا المصطلح اخترعه "جان بول نيريير Jean-Paul Nerrière" عندما كان نائب رئيس شركة IBM في الولايات المتحدة الأمريكية للإشارة إلى نوع من اللغة الإنجليزية الفقيرة جدا ولكنها فعالة، يُطبقها غير الناطقين بها في مجال الأعمال التجارية الدولية حيث اثبتوا قدرتهم الفائقة على التفاوض مع الصينيين والهنود على سبيل المثال أحسن من أولئك الناطقين الأصليين الذين يمارسون الإنجليزية الجميلة والجيدة وحسب تصوره سيكون كافيا بعض مئات من الكلمات لتحقيق النجاح أو الفشل بأقل الأضرار في مجال الأعمال التجارية" أنظر Cassin, B. (2016). Éloge de la traduction.

قائمة المراجع:

- أبو الفضل جمال الدين بن محمد ابن منظور. (2003). لسان العرب (المجلد 5). دار صادر.
 باربرا كاسان. (2017, 9 27). الترجمة بوصفها ثقافة حوار مع باربرا كاسان. (كوليت بريفار، المحاور، و محمد شوقي الزين، المترجم) مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
 باربرا كاسان. (2022, 8 22). الفلسفة والترجمة حوار مع باربرا كاسان. (بسام بركة، المحاور)

باربرا كاسان. (2022,45). يجب مقاومة عولمة اللغات. (أنياس باردون، المحاور) اليونسكو. باريس.
بول ريكور. (2008). عن الترجمة. (حسين خمري، المترجمون) الجزائر: منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم
ناشرون.

Cassin, B. (2016). Éloge de la traduction – Compliquer l'universel.
Fayard.

Cassin, B. (2014). Philosophie en longues -les intraduisibles en traduction.
Paris: Presses de l'École normale supérieure.

Cassin, B. (2019). Plus d'une langue. France: Bayard.

Gnezda, A. P. (2014, 10 08). Barbara Cassin L'archipel des idées de
Barbara Cassin. Lectures [Online], Reviews, . (O. Journals, Éd.)